

جهود جامعة إفريقيا العالمية في مشروع الحرف العربي

أ.د. يوسف الخليفة أبو بكر*

مبادرة السودان :

في أوائل عام ١٩٥٥ ألهم الله تعالى الأستاذ نصر الحاج علي (رحمه الله وكان مديراً لوزارة المعارف السودانية فكتب خطاباً إلى مدير جامعة القاهرة يطلب منه أن ينتدب إلى السودان أحد علماء جامعة القاهرة لكي يكتب لغات جنوب السودان بالحروف العربية، فاختار مدير جامعة القاهرة الأستاذ الدكتور خليل محمود عساكر الذي وصل إلى جوبا في ١٨ أغسطس ١٩٥٥ م وكان التمرد آنذاك قد بدأ ينتشر حتى جوبا ، فاقترح السيد/ سر الختم الخليفة مساعد مدير المعارف للمديريات الجنوبية أن يعود إلى الخرطوم بنفس الطائرة التي جاء بها ريثما تهدأ الظروف للعمل ، ولم يثنه ذلك عن الرسالة التي جاء من أجلها بل مكث في الخرطوم عامين كاملين يبحث في المصادر الأجنبية (الإنجليزية والألمانية والفرنسية) عن معلومات عن جنوب السودان ولغات السودان وقبائله . وفي عام ١٩٥٧ عاد إلى جنوب السودان ورأت الوزارة أن تعين له مساعداً من معلمي الوزارة ، فاختارت يوسف الخليفة أبو بكر الذي كان مدرساً في مدرسة رمبيك الثانوية ، وكان تلميذاً للدكتور خليل محمود عساكر في قسم اللهجات بمعهد اللغات الشرقية بجامعة القاهرة (دراسات عليا) ودرس عليه نظام كتابة اللهجات العربية بالحروف العربية تطبيقاً على لهجة (الرياطاب) بالسودان .

تحويل الكتب من الحروف اللاتينية للحروف العربية:

وجد هذا الفريق أن من الأسر أن يبدأ عملهما بكتب تعليم القراءة والكتابة المكتوبة بلغات جنوب السودان بالحروف اللاتينية وتحويلها من الحروف اللاتينية إلى الحروف العربية (*transliteration*) وذلك بعد التغلب على مشكلة الأصوات غير العربية التي تشتمل عليها لغات جنوب السودان ، ثم قام الفريق بإعداد خمسة كتب بخمس لغات في مديرتي بحر الغزال والاستوائية والكتب هي (بعناوينها العربية):

- ١- المطالعة الأولية بالحروف العربية بلغة الدينكا .
- ٢- المطالعة الأولية بالحروف العربية بلغة الزاندي.
- ٣- المطالعة الأولية بالحروف العربية بلغة المورو.

* مدير مركز يوسف الخليفة لكتابة اللغات بالحرف العربي

٤- المطالعة الأولية بالحروف العربية بلغة اللاتوكا.

٥- المطالعة الأولية بالحروف العربية بلغة الباريا.

وطبعت الكتب في مكتب النشر التابع لوزارة المعارف عام ١٩٦٠م وتم تدريب معلمي الصف الأول بالمدارس الأولية والمدارس الصغرى على تدريسها ودرست في مدارس المديريتين . ولما علم رجال الإرسالية الأمريكية في أعالي النيل بما يجري في مديرتي بحر الغزال والإستوائية ، قاموا بدورهم بكتابة أربع من لغات مديرية أعالي النيل بالحروف العربية واستخدموا بعض الرموز التي استخدمناها في مديرتي بحر الغزال والاستوائية دون استشارتنا في ذلك ، ولكن فوجئنا بكتب باللغات الجنوبية كتبت بالحروف العربية وطبعت في مطبعة الإرسالية في مدينة ملكال ، وكان في الإرسالية اللغوي الأمريكي الدكتور هكستر. واللغات التي كتبت بالحرف العربي هي :

١- لغة الشلك.

٢- لغة النوير.

٣- لغة المورلي.

٤- لغة الأنواك .

غير أن السياسة الجنوبية المناوئة للثقافة العربية والإسلامية قد أوقفت هذا العمل بعد احتجاجات من بعض السياسيين الجنوبيين في البرلمان.

كانت القيمة العلمية لهذا العمل تتمثل في تطويع الحرف العربي لكتابة الأصوات غير العربية التي تشتمل عليها هذه اللغات التسع، ليس فقط في ابتكار عدد من الصوامت (Consonants) بل في ابتكار رموز الأصوات الصوائت (الحركات) التي يزيد عددها على عشر. علماً أن الشعوب الإسلامية التي كتبت لغاتها بالحرف العربي ابتكرت عدداً من (الحروف) لمقابلة الأصوات الصوامت غير العربية، إلا أن الحركات غير العربية لم تمثل في هذه اللغات.

الحرف العربي يدخل في مقررات الجامعات:

قرر اجتماع وزارات التربية والتعليم العرب الذي عقد في صنعاء في ديسمبر ١٩٧٢ إنشاء معهد أو مركز في الخرطوم يعني بتطوير تعليم اللغة العربية لجنوب السودان ، فأنشأت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألسكو) عام ١٩٧٤ مركزاً في الخرطوم تحول إلى معهد الخرطوم الدولي للغة العربية واختصاصه تدريب معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها على مستوى الدبلوم العالي والماجستير والدبلوم المتوسط وفي عام ١٩٨٠ أضيف إلى مقررات الدبلوم العالي مقرر بعنوان (كتابة اللغات بالحروف

العربية). ولما كان المعهد يضم عشرات الطلاب من إفريقيا وآسيا فقد كتب كثير منهم أطروحته حول كتابة لغته بالحروف العربية، وبذلك اجتمع في مكتبة المعهد عشرات من الأطروحات حول كتابة اللغات الإفريقية والآسيوية وأحيانا الأوربية بالحروف العربية، إضافة إلى عشرات الأطروحات حول الدراسات التقابلية بين العربية واللغات الأخرى والمعاجم ثنائية اللغة.

وفي عام ١٩٨٥ أدخلت جامعة إفريقيا العالمية مقررا ضمن مقررات علم الأصوات في البكالوريوس باللغة العربية تحت عنوان كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف العربي.

الحرف العربي بعد حرف الاستعمار:

كان من سياسة الاستعمار الأوربي في إفريقيا وآسيا نشر ثقافته ولغته وحرفه على حساب الثقافة الإسلامية واللغة العربية وكتابة لغات المسلمين بالحروف العربية. والإحصائية التي قمنا بها هي أن هناك ما يزيد على مائة لغة من لغات المسلمين كتبت بالحرف العربي، بعضها منذ القرون الأولى للإسلام، وبعضها في العصور الوسطى، وفي النصف الأول من القرن العشرين أثمرت حرب الاستعمار ضد الحرف العربي فكان نتيجتها كالاتي:

١- لغات قليلة صمدت ضد محاولات الاستعمار فاستمرت تكتب بالحرف

العربي، ومن هذه اللغات:

- أ- اللغة الأردية في باكستان.
- ب- اللغة البشتونية في أفغانستان.
- ت- اللغة السندي في باكستان.
- ث- اللغة الفارسية (الإيرانية).

٢- لغات انهزمت أمام الحرف اللاتيني ولم تعد تكتب بالحرف العربي، ومنها اللغة التركية منذ عهد أتاتورك حتى نهاية القرن العشرين. ومنها لغات آسيا الوسطى التي حرم الاتحاد السوفيتي كتابتها بالحرف العربي.

٣- لغات انزوى فيها الحرف العربي إلى المدارس القرآنية والمعاهد الدينية، وسيطر الحرف اللاتيني عليها في كل مجالات الثقافة المعاصرة بما فيها الصحف والمجلات التي تصدر باللغات المحلية. وفي بعض المواقف يستخدم الحرف العربي عندما يحتاج المسؤولون مخاطبة العامة الذين لا يقرأون الحرف اللاتيني مثلا: (في الانتخابات، والتوعية الصحية ضد بعض الأمراض المعدية، ومحاربة

الآفات الزراعية) وقد ترى بعض المحلات العامة تكتب عليها أسماءها بالحروف العربية مثلا المستشفيات الدكاكين والمطاعم .

مشروع الحرف العربي في إيسيكو:

كانت منظمة الأمم المتحدة اليونسكو في إحصاءاتها لمحو الأمية في غرب إفريقيا لا تعتبر الذين يكتبون لغاتهم بالحرف العربي قد انمحت أميتهم ، وقد أثار ذلك بعض المثقفين الأفارقة ومن بينهم الأستاذ كريم توري الذي قدم محاضرة في جامعة لندن منتقداً اليونسكو ، وأكد أن كتابة اللغات بالحرف العربي يساعد في تنمية الشعوب طالما أنها تستخدم في محاربة الأمراض والإرشاد الزراعي وغيره. وعندما اعتلى إدارة المنظمة الدولية (اليونسكو) الدكتور أحمد مختار أمبو مديرا للمنظمة الدولية (اليونسكو)، وهو سنغالي الجنسية ، أخذ موافقة الجمعية العمومية لليونسكو التي تفضي بأن الذي يكتب بالحرف العربي فقد انمحت أميته، إضافة إلى ضرورة تشجيع اليونسكو على محو الأمية بالحرف العربي في الشعوب التي تكتب لغاتها بالحرف العربي . عندئذ اتصل الدكتور أحمد مختار بالبنك الإسلامي للتنمية ، وتكونت لجنة مثلت فيها اليونسكو وإيسيكو ومعهد الخرطوم الدولي للغة العربية ومعهد الأبحاث والدراسات للتعريب بالمغرب، وكان ذلك عام ١٩٨٦م وكان كاتب هذه المقالة ممثلاً لمعهد الخرطوم في هذه اللجنة.

وقد أجرت لجنة إيسيكو والبنك التجاري، وعقدت لقاءات، وندوات في عدد من الدول الإفريقية المعنية حتى تم الاتفاق على نظام لكتابة هذه اللغات بالحرف القرآني المنمط.

وتم اختراع آلة كاتبة (مرقنة) متطورة زودت مفاتيحها بجميع الحروف المعدلة ورموز الحركات وصارت معدة لكتابة أكثر من عشرين لغة إفريقية بالحرف القرآني المنمط.

جهود جامعة إفريقيا العالمية:

في عام ١٩٩٣م وقعت الجامعة اتفاقية تعاون مع منظمة إيسيكو تضمنت التعاون في مشروع الحرف العربي. وقد أحالت إيسيكو المرقنة الإفريقية (الآلة الكاتبة) لتجريبها في مجموعة من الطلاب الأفارقة حيث إن الجامعة تضم بين طلابها من يتحدثون كثيراً من اللغات الإفريقية والآسيوية. وقد صُممت الآلة لتكتب ١٤ لغة إفريقية، وبعد التجربة اتضح أنها تكتب أكثر من عشرين لغة إفريقية.

ثم توالت التجارب بتدريب عدد من الأفارقة في بلادهم على استخدام هذه الآلة الكاتبة لكتابة لغاتهم، وكانت جامعة إفريقيا ممثلة أو قائداً لعدد من هذه الدورات.

إنشاء مركز متخصص في مشروع الحرف القرآني بجامعة إفريقيا العالمية:

رأت الجامعة أن الوقت قد حان لكي يكون فيها وحدة متخصصة لتطوير عملية كتابة اللغات بالحرف القرآني، فأنشأت هذه الوحدة عام ٢٠٠٣م، وحددت اختصاصاتها، وأمدتها بخبراء في التربية واللغويات وتقنيات الحاسوب، وحدد المجلس العلمي للجامعة اختصاصات هذه الوحدة في الآتي:

- دراسة أصوات لغات المسلمين التي لم تدخل في المشروع لاختيار الرموز المناسبة لكتابتها بالحرف القرآني بطريقة علمية صوتية.
- إعادة كتابة تراث المسلمين المكتوب بخط اليد وطباعته وحفظه بالحاسوب.
- إعداد المواد التعليمية اللازمة لنشر كتابة هذه اللغات بالحرف القرآني.
- عمل بيلوغرافيا لتراث المسلمين المكتوب بالحرف القرآني.
- الترويج لإشاعة ونشر الحرف القرآني ومساعدة الجماعات التي ترغب في كتابة لغاتها بالحرف القرآني.
- حوسبة الحرف القرآني الذي تكتب به لغات المسلمين.
- عمل دورات تدريبية في كتابة لغات المسلمين بالحرف القرآني المحوسب.
- عقد الندوات والمؤتمرات وورش العمل في مجال الحرف القرآني.
- التعاون مع المؤسسات المعنية بالحرف القرآني في هذا المجال.

١/ حوسبة الحرف القرآني:

كان من أوائل الأعمال التي قامت بها وحدة الحرف القرآني بجامعة إفريقيا العالمية تكوين لجنة من المختصين بالحوسبة للنظر في إمكان حوسبة الحرف القرآني التي تكتب به لغات المسلمين. وأمدت الوحدة اللجنة بما تحتاجه من البرامج المعنية من الشركات الأم بالولايات المتحدة الأمريكية، وواصلت اللجنة اجتماعاتها التي استمرت نحو عامين لمعالجة حوسبة الحرف القرآني.

مرت عملية الحوسبة بعدة مراحل قبل أن تكتمل وتظهر نتائجها وهي:

- أ- **مرحلة الإعداد:** تقرر اختيار خط واحد من الخطوط المعمول بها في الحواسيب وهو خط النسخ (عربي مبسط) بأنماطه الثلاثة (منتظم وعريض ومائل). على أن تضاف خطوط أخرى مستقبلاً بعد نجاح الحوسبة.

- ب- **تصميم الخطوط:** استعانت الجامعة بخبير الخطوط الذي صمم الخطوط العربية لبعض الشركات العالمية وهي شركة مايكروسوفت وشركة ابل *Apple* فصمم (الحرف القرآني المنمط) بالأشكال التي قررتها المنظمة (إيسيسكو). وأعطى هذا الخط اسم (أفريكا ٢) *Africa* ليميزه عن الخطوط الأخرى، وتشمل هذه الخطوط كل الحروف المنمطة والحركات الثمانية. وبذلك صارت الخطوط ملكاً لمشروع الحرف القرآني، وتسجل له ملكيتها، وتم كل ذلك على نفقة الجامعة.
- ج- **إدخال الحروف في الحاسوب وتصميم لوحة المفاتيح:** تطلبت هذه المرحلة شراء برمجيات من الولايات المتحدة لتشغيل الحروف على نظام *Windows* وهي برنامج *Font Lab 4.0* ، وبرنامج *Key Man Developer 5.0* وبرنامج *Fontographer* وذلك لتصميم لوحة المفاتيح. وبذلك أمكن معالجة الحروف وتثبيت الخطوط في الحاسوب وتصميم لوحة المفاتيح.
- د- **الاختبار:** تم أولاً تصميم لوحة مفاتيح للغة واحدة وهي لغة الهوسا، وبعد اختبارها وكتابة عدد من النصوص أدخلت حروف اللغات الأخرى، وأصبحت لوحة المفاتيح الواحدة تكتب عدداً من اللغات الإفريقية التي تم ترميزها في إيسيسكو.
- بعد نجاح حوسبة كتابة عدد من اللغات الإفريقية بدأ التدريب على استخدام الحاسوب في أكثر من عشر لغات إفريقية، وعقد لذلك عشرات من الدورات التدريبية في الخرطوم ونيجيريا ويوغندا، وكينيا وجزر القمر وجيبوتي وفي عدد من دول غرب إفريقيا وفي جنوب شرق إفريقيا، كما طبعت كتب الثقافة الإسلامية إلى اللغات الإفريقية وعلى رأسها ترجمة معاني القرآن الكريم إلى عشر لغات إفريقية. ووصل عدد الإصدارات في عقد من الزمان إلى خمسين إصداراً.

الطفرة التقنية:

هنالك طفرة غير مسبوقة تم الوصول إليها بجهود التقنيين في المركز، وهي إنتاج برنامج حاسوبي يحول النصوص المكتوبة بالحروف اللاتينية إلى الحرف العربي المنمط بما فيها من تعديلات للحروف (صوامت وصوائت)، وقد يسر ذلك إعادة المطبوعات بالحرف اللاتيني بهذه اللغات إلى الحرف العربي، كما تم الاتفاق بين المركز وإيسيسكو ومعهد بحوث حوسبة اللغة العربية في دولة قطر على:

- ١- إعداد لوحات مفاتيح للحاسوب لعشرين لغة إفريقية. وقد تم إعداد ست منها.
- ٢- إعداد مرشد حاسوبي يعلم الكتابة والقراءة للغات الإفريقية بالحرف العربي إلكترونياً بدون معلم.

الكتب التعليمية:

تم إعداد كتب لتعليم القراءة والكتابة لعشر لغات إفريقية منها ثلاث لغات سودانية هي التبادوية (البجا) وبنني عامر والنوبية الدنقلافية، والخطة الموضوعية هي إعداد كتب تعليمية لخمس لغات سنوياً.

القواميس الثنائية اللغوية:

تم إعداد أربعة قواميس ثنائية اللغة (اللغة العربية+ لغة إفريقية) لأربع لغات إفريقية وآسيوية، ويتواصل العمل لعمل القواميس الثنائية اللغة لأربع لغات أخرى هذا العام ٢٠١٥ / ٢٠١٦ م.

ترجمة كتب الثقافة الإسلامية:

تمت ترجمة عدد من كتب الثقافة الإسلامية إلى عدد من اللغات الإفريقية مكتوبة بالحرف العربي وطبعت في الخرطوم وفي إيسيسكو (بالمغرب) وهي:

- ١- كتاب الأخضري في الفقه المالكي (لغرب إفريقيا).
- ٢- كتاب في الفقه الشافعي (سفينة النجاة) لشرق إفريقيا وجنوب شرق آسيا.
- ٣- السيرة النبوية ترجمت إلى سبع لغات إفريقية.
- ٤- كتاب الصلاة للشيخ محمد محمود الصواف ترجم إلى ست لغات إفريقية.
- ٥- مناسك الحج والعمرة ترجم إلى أربع لغات إفريقية.
- ٦- كتاب حصن المسلم (في الأدعية) ترجم إلى أربع لغات إفريقية وآسيوية.

إصدارات أخرى:

- ١- مجلة (حولية الحرف العربي) - صدر العدد الأول في أغسطس ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ.
- ٢- (تقرير وثائقي مصور) عن أعمال المركز صدر في ٢٠١٥م.
- ٣- مذكرات (الحرف العربي وتطوره) يدرس الآن كمطلوبات الجامعة في جميع الكليات.
- ٤- ترجمة اللغات الإقليمية لعشرين لغة إفريقية (تم إعداد ثلاثة عشر منها).
- ٥- مدخل إلى نشأة الكتابة وتطورها (تحت الإعداد).

المشروعات طويلة الأمد:

بدأ التنفيذ في مشروعين يستغرق كلاهما نحو ثلاث سنوات، هما:

- ١- ترجمة ٥٠٠ نقش مكتوب باللغة السودانية القديمة (المروية) إلى اللغتين العربية والإنجليزية ، وكتابة هذه النقوش بالحروف العربية.
- ٢- ترجمة قاموس اللغة البجاوية وبنو عامر من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية مع تعليقات عليها. (يقوم بهذين العاملين البروفسور عبد القادر محمود عبد الله المتخصص في اللغة المروية والمصرية).

الدورات التدريبية:

شارك المركز إيسيسكو في معظم الدورات التي عقدتها في إفريقيا وجنوب شرق آسيا ، كما عقد المركز دورات في الجامعة وفي جامعة كسلا ، ودنقلا ، والبحر الأحمر تزيد على عشر دورات ، استفاد فيها أساتذة هذه الجامعات ومعلمو وزارة التربية والتعليم في هذه الولايات. وهدفت هذه الدورات (التي تراوحت مدتها بين ٦- ٨ أسابيع) إلى التدريب على إعداد المواد التعليمية في لغات المنطقة واستخدام الحاسوب في كتابة هذه اللغات.

إضافة إلى ذلك يعقد المركز دورات في التدريب على فن الخط العربي. كما يقدم البروفسور عبد القادر محمود عبد الله دورة لمدة عام (ساعتين في الأسبوع) في تاريخ الكتابة مع التركيز على كتابة اللغة السودانية القديم (المروية) وحضارة السودان القديمة.

الدراسات العليا

بدأ منذ عام ٢٠١٤م الدبلوم العالي والماجستير في إعداد المواد التعليمية واستخدام الحاسوب في كتابة اللغات الإفريقية ، ويتخصص كل دارس في اللغة التي يتحدثها ، مع إعداده لكتابة اللغات الأخرى بالحرف العربي. وتشتمل مواد الدراسة على مجموعة من اللغويات والتربويات والحوسبة دراسة نظرية وعملية. ووصل عدد الدارسين في الدبلوم العالي والماجستير خمسة وعشرين دارساً.

دعم إيسيسكو:

تجدر الإشارة إلى أن معظم البرامج التي نفذها المركز كانت بدعم من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) والمؤسسات المتعاونة معها ، وذلك بموجب اتفاقيات وعقود تبرم سنوياً لتنفيذ برامج محددة.